

# من القاهرة الى انقرة

سأهرات في تركيا الجديدة

الزراعة والصناعة - الصحة والتعليم - معطى كمال

- ٥ -

تركيا بلاد زراعية غنية اهم حاصلاتها القمح والذرة والشمير والكتان والقطن والتبغ والتبغ والتطاني على انواعها والسهم واليانسون والعب والتين وزيت الزيتون . وهي كذلك غنية بالمعادن ففيها الذهب والفضة والرصاص والنحاس والحديد والفحم والزيئق واليورن والكروم والزرنيخ والبتروول . وبما اشتهرت به قبل الحرب انها كانت تصدر من المعادن ما قيمته نحو مليوني جنيه على ضعف وسائلها الصناعية الحديثة . فقد كانت تصدر نحو ٨ في المائة من قار الكروم المستهلك في العالم وكانت الاناضول وحدها تصدر نحو ٣ في المائة مما يستهلك في العالم من الرئيق . ثم ان تركيا اشتهرت بصناعات دقيقة كصناعة السجاد والسحون العينية التي عرفت بها كوقاهية وغزل الحرير في بورسه وما جاورها واستقطار عطر الورد في وادي نهر المريج في تركيا الاوربية . فاهو مقام الصناعة والزراعة في تركيا الجديدة ؟

خذ كتاب الاحماء الرسمي الذي تصدره الحكومة التركية وقتب صفحاته تقف على ارقام واحصاءات تشهدك على ان البلاد ليست مقصرة في تحير روتها الزراعية والمدنية على ضعف وسائلها وقلة اليد العاملة واستحكام الازمة العامة

فالمساحة المزروعة فيها حنطة تبلغ نحو ٢٢ مليون دم (الدم نحو خمس فدان) وحاصلاتها ١٥١ر٣٣ر١ طن . ويأتي بعدها الشعير والارز والذرة من الحبوب . وبحرور الارض المزروعة حبوباً تبلغ ٣٩ مليون دم ومحصولها ٢١٣ر٤٠٠ر٢ طن . ثم أنهم يسنون بزراع الخضروات فترى مثلاً ان ١١ الف دم تزرع بازلاً و ٢٧٤ الف دم تزرع فاصوليا و ١٠٤ آلاف دم تزرع عسماً وهنم جراً وبحرور الاراضي المزروعة خضراوات ١٠٤٧٠٠٠٠ر٤٧٠٠٠٠ طن وحاصلاتها تبلغ ٧٠٠٢٢٤ طن . ثم ان الماشية سواء اكانت للحرن او للذبح والاكل تال نصيباً كبيراً من اهتمام الحكومة والامة . فيقدر عدد الثيران فيها بنحو مليونين ونصف مليون ثور والجواميس بنحو ربع مليون جاموس وربع مليون جاموسة والبقر بليونين وثلاث مليون بقرة والغنم بنحو عشرة ملايين ضأن والخيل بين فرس وجواد بنحو نصف مليون .

أما النباتات الصناعية فكثيرة كذلك . فالبنجر الذي يصنع منه السكر في تركيا يزرع في انطياح  
 يبلغ مجموع مساحتها ٨٦ الف ديم ومحصولها ١٦٠ الف طن . والقطن يزرع في نحو ٩٩٠  
 الف ديم ومحصوله ٣٨ الف طن . والشعير في ٧٩٠ الف ديم ومحصوله ٤٢٥٠٠ طن  
 فمجموع المساحات المزروعة في تركيا — بنباتات الحبوب او الخضراوات او النباتات  
 الصناعية — يبلغ ٤٣٦٣٧٢٢٧ دقماً ومحصولها جميعاً وزن ٢٦٦٦١٤٣١ طنناً  
 يضاف الى ذلك ان الحراج في تركيا تكسو شرق الاناضول ، جبالاً وسهولاً ووهاداً  
 ومنها ما يصلح للبناء ومنها ما يصلح للتفحيم . اما الخشب الذي يصلح للبناء فنه الدلب وقد  
 كان المقطوع منه سنة ١٩٣٠ نحو ٣١٧ الف متر مكعب والسنديان وكان المقطوع منه في  
 السنة نفسها نحو ٢٣ الف متر مكعب والقطران والمقطوع السنوي منه ٣٩ الف متر مكعب  
 والسنوبر والمقطوع السنوي منه نحو ٥٩ الف متر مكعب والكستناء والمقطوع منه ١٩ الف  
 متر مكعب . اما الخشب الذي يقطع للتفحيم فيبلغ متوسط المقطوع منه سنوياً ما وزنه نحو  
 مليوني قنطار شامي تحول الى نحو ٦٦٠ الف قنطار من غم الخشب

\*\*\*

أما الصناعة فاليك شيئاً عنها :

يبلغ عدد المنشآت الصناعية المشتغلة بالاستخلاص والاستقطار كالسكر والكحول والزيت  
 ٥٥٦٠ يشتغل بها ١٩ الف عامل وخاصة بالصناعات الزراعية وتربية الحيوانات والصيد  
 ٢٨٤٣٩ يشتغل بها ١١٠ آلاف عامل وخاصة بالنسوجات ٩٣٥٣ يشتغل بها ٢٤ الف عامل  
 وخاصة بقطع الخشب واعداده ٧٨٩٦ يشتغل بها ٢٤ الف عامل وخاصة بصنع الورق والورق  
 المقوي ( الكارتون ) ٣٤٨ يشتغل بها ٢٧٩٢ عاملاً وخاصة بالتعدين وما يتصل به ١٤٧٠٢  
 يشتغل بها ٣٤ الف عامل وخاصة بالبناء ٢٨٠٧ يشتغل بها ١٢٣٤٥ عاملاً والصناعات الكيماوية  
 ٦٩٧ يشتغل بها ٣١٠٠ عامل وهناك منشآت صناعية مختلفة فيبلغ مجموع المنشآت الصناعية  
 في تركيا ٦٥ ألفاً وعدد المشتغلين بها ٢٥٦ ألفاً

وهذا ولا شك عدد قليل في امة يبلغ عددها نحو ١٦ مليوناً ولكن المهم انه يتناول اهم  
 وجوه الحياة الصناعية من تعدين للناجم الى الصناعات الكيماوية الدقيقة  
 ثم اذا دققنا النظر قليلاً وجدنا نحو ٢٩٠٠ من هذه المنشآت الصناعية تستعمل المحركات  
 على انواعها من محركات تسيير بقوة البخار او بقوة غاز الاستصباح او بقوة الكهربائية او بقوة  
 الزيت او البترول ومجموع المحركات كلها نحو ٥٠٠٠ محرك وتولد قوة ١٦٣ حصان  
 وبهذا كذلك ان نعلم من يشرف على هذه المنشآت كلها ومن يعمل فيها من حيث هم تراك  
 او اجانب . ففي المنشآت الخاصة بصناعات النسيج ١٦٧٩ مشرفاً منهم ١٥٧٠ مشرفاً من الاراك

و ١٠٩٩ مشرفين من الاجانب وبمجموع المشرفين في كل المنشآت الصناعية ١٠٧٨٦ مشرفاً منهم ١٠١٨٢ من الاتراك و ٦٠٤ من الاجانب . وفي بعض المنشآت الصناعية مشرفات يبلغ مجموعهن ١٥٥ مشرفاً منهن ١٣٥ مشرفة تركية و ٢٠ مشرفة اجنبية

اما الاجانب بين الموظفين والعمال فاقلية يسيرة جداً لا تكاد تبلغ واحد في المائة . اما الموظفات في المنشآت الصناعية فنحو ١٦٠٠ امرأة والعاملات ٨٠٠٠ فتاة ( دون الرابعة عشر من العمر ) و ٢٩ الفاً فوق الرابعة عشرة من العمر

ولناخذ صناعة واحدة كصناعة السكر ونذكر شيئاً من التفاصيل الخاصة بها لتكون مثالاً يوضح لنا من اجلائها . فالستخرج من السكر في معنيين من معانيه يبلغ ٢٣ الف طن من السكر مستخلص من نحو ١٦٠ الف طن من البنجر (١٩٣١) وتقدر قيمة المباني فيها بنحو مليوني ليرة تركية (١٩٣١) وقيمة الآلات بنحو ثلاثة ملايين ليرة تركية أي نحو ٧٠٠ الف جنيه مصري وعدد العمال والموظفين فيها الف وقد يزيدون الى الف وخمسة مائة . في أحدها ١٦ خبيراً اجنبياً وتبلغ مساحة الأرض التي تزرع بنجرها ١٣٠ الف ذراع . ويخرج منها عدا السكر كحول ودبس وغيرها

أما المناجم فتخرج في السنة (١٩٣١) ٧٢٧٥ طناً من الفحم اللينيث و ٨٤٥ طناً من النحاس (١٩٣١) و ٦٠٠٠ طن في المتوسط من السبائك (المنفردة) و ٢٧٦٧ طناً من الرصاص و ٤٣ طناً من الانتيوم و الف طن من المنغنيس و ٢٥٣٨٢ طناً من الكروم (وهو معدن لازم لصناعة اصناف خاصة شديدة الصاوة من الصلب) و ٢٣٩ طناً من الزئبق و ١٢٧٦ من الزنك و ١٠٠٠٠٠ من السنت

هذه حقائق أولية تبين لك الى اين وصلت الصناعة التركية فيهما الآن ان نظر في خطة الحكومة الاقتصادية التي تحاول بمقتضاها ان تدير بزراعة البلاد وصناعتها الى الغرض الذي يرمقه الغازي ورجاله

\*\*\*

عما لا ريب فيه ان الخطة السياسية التي جرى عليها الغازي كان لها حتى الآن اثر سيء في البلاد من حيث الانتعاش الاقتصادي . ولا ريب ان الاقدار لم تكن في جانبه في هذا الجهاد كما كانت تواليه في ميادين الحرب والسياسة . فالجرب الكبرى وحرب الاستقلال زفت نشاط البلاد ، والنضبت مواردها ثم جاءت الثورة الكردية ، وتلتها مواسم غلب فيها التقهط والامحال على خصب التربة وغنى البلاد الطبيعي . فلما استفحل امر الازمة الاقتصادية العالمية كان لها في تركيا ابلغ الاثر

ان خطة الحكومة تقوم على مبدئين جعل تركيا امة منسجمة ، ونمحررها من السيطرة

الاجنبية . فتحقيقاً لهدفين الترضين طرد اليونان من شرق الاناضول و بيد الارمن او كادوا . فكانت النتيجة ان العناصر التي كانت عروق الامة تجري فيها دماء الحياة الاقتصادية زالت سباً ، وكان الاراك في بطنه هذا العهد يعتقدون : كما كان الرومان يعتقدون . ان التجارة والصيرفة اعمال خبيثة بالشعوب المحكومة . فلم يستطيعوا في البدء سد النقص . وسمح للارمن واليونان ان يقيموا في امتانبول ويزاولوا الاعمال التي يريدون مزاولتها ، ولكن على شريطة ان يتجنسوا بالجنسية التركية ، ومعنى هذا التخلي عن لغتهم وثقافتهم القومية وهذا قد يكون متعذراً بوجه الاجمال فيما يخص الارمن واليونان . اما اليهود فاكثروا وقد قال احد زعمائهم لعصمت باشا : « اذا لم يفتح اراكا بعد عشر سنوات فاطردونا من البلاد »

وقد عنيت الحكومة جهدها بمساعدة الترك على تسلم ازمة التجارة في البلاد . ونحن على ما رأينا في فروع بنك ايس في الاسكندرية وازمير واقتره لشهد انهم اصابوا قسطاً كبيراً من النجاح . فقد قضت الحكومة على ان كل المحلات التجارية يجب ان تكون دفترها باللغة التركية وان تستخدم الترك ، حتى لا يقلوا فيها عن خمسين في المائة من موظفيها

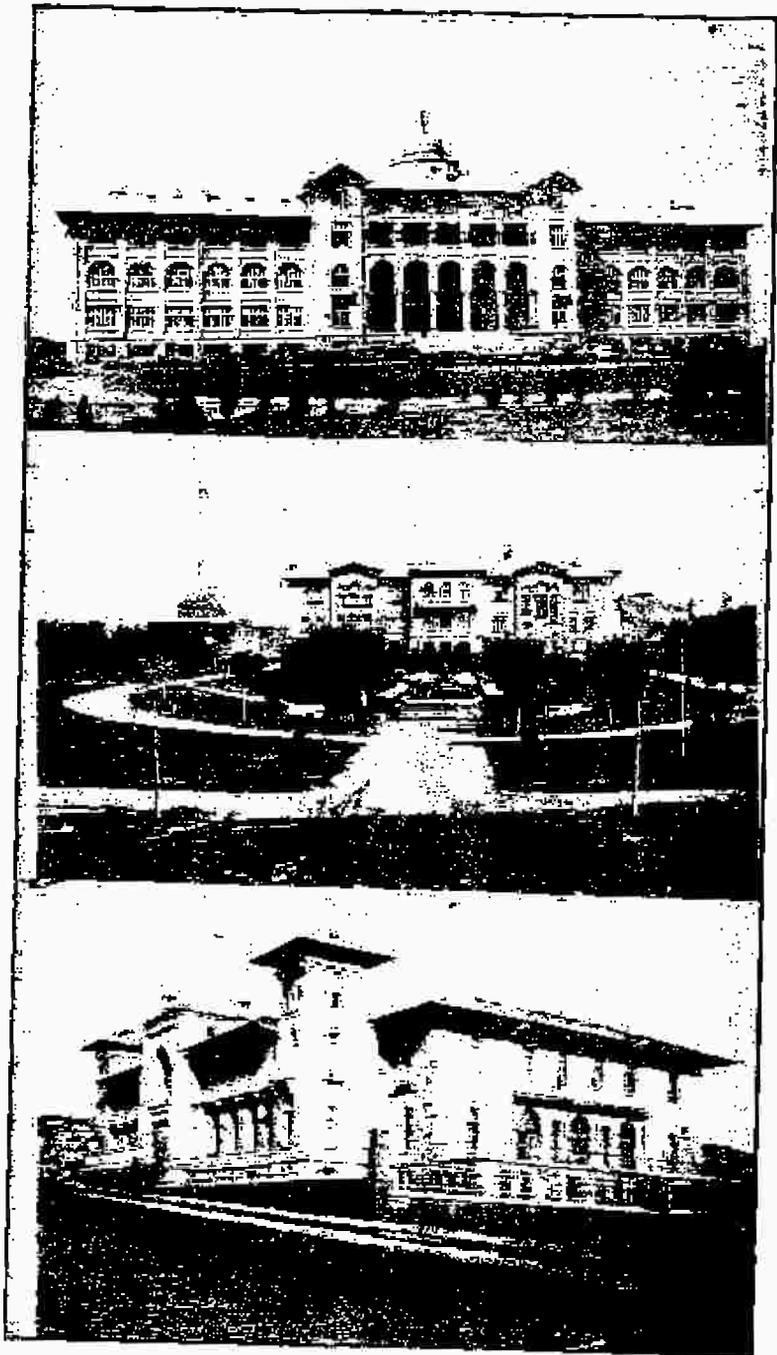
والشركات الاجنبية التي تريد ان تستثمر مورداً من موارد البلاد يجب ان يكون ٥١ في المائة على الاقل من حصة اسهمها اراكاً . والحكومة توالي الدعاية بالخطب والصحف لكي تحمل اهل البلاد على استعمال مصنوطاتها دون المصنوعات الاجنبية التي فرضت عليها ضرائب جبركية عالية جداً

والسعي الى حفظ تركيا حرة من نفوذ الرأسمالية الاوربية او الاميركية اخطر حتى الآن ، تجديد حياة تركيا الاقتصادية . لانه من المتعذر ان تنمر ثروة البلاد الطبيعية من دون رأس مال وهذا يقتضي ضمانات يحسبها الغازي قيوداً تقيد بها الحرية القومية . فقد منحت بعض الامتيازات لطائفة من الاجانب اسويديين لبناء سكك الحديد والبلجيكيين لصناعة عيدان التصاب واسولونيين لصناعة الكحول ولكن معظم هذه الجماعات لم يلق النجاح المنتظر . ويقال ان سبب ذلك شدة تدخل الحكومة التركية في اعمالهم تدخلا قائماً على سوء الظن في اصحاب الرأسمالية الدولية

ولكن مصطفي كمال واعوانه تمكنوا من مد السكك الحديدية اللازمة بحال ارسد لها في ميزانية الحكومة . وقد عنيت الحكومة كذلك بمد الطرق لتسهيل سبل المواصلات وتشجيع بعض الصناعات الوطنية

كل هذا افضى الى قيام قائمة من الاقتصاديين الشبان ، يدعون الى فلسفة اقتصادية جديدة . وقد قضيت مع احدتهم « برهان آصف » نحو ساعتين في اقتره بالاس احدثت معه في هذه الفلسفة وهو شديد الحماسة لها ، ولا يرى للامة التركية مخرجاً الا بها





مباني ائقرة

١ فوق معبد الفارسي : دار المسلمين ( وسط ) دار مجلس الامة

( تحت ) فندق ائقرة بالاس

قال - وكنت على مقربة منا على شرفة انقره بالاس خبراء اميركيون - ان الخبراء يصحرون لنا بأن نبقى امة زراعية ولكن البلاد من دون زراعة لا يمكن ان يطبق فيها العلم ، واذالم يطبق العلم فلا فائدة منه . والعلم نفسه يعلم الدقة ، واذاً فالعالم العلية لا تجدي الا اذا فصح المجال في البلاد لتطبيق العلم . واذاً فلا بد من الصناعة

هذا من الجهة الثقافية . ثم ان التركي الآن لا يستطيع ان يناقش الاوربي والاميركي بفعل الاحتمالية الدولية . فالتركي فاجر بسيط لا يستطيع ان يناقش الشركات العظيمة التي تبعث بمصنعاتها ووكلائها الى قلب الاناضول مثلاً . واذاً شئنا ان نمكثه من منافستها وجب ان نمجبه بمواجز جمركية عالية . وهذه الطريقة ليست بالطريقة المثلى . بل انها ليست بالطريقة الطبيعية . ولا بد في النهاية من تفوق الصناعة القوية رغم كل انواع الحماية

وقد كانت الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر تملك صناعة قومية تكفيها منتجاتها المتنوعة فقد كانت تصنع حتى الحديد والصلب والاير . وكانت تستبدل منتجاتها بما تحتاج اليه من منتجات البلدان الاخرى وكان التبادل معقولاً قائماً على اساس طبيعية واقتصادية

فلما نشأت الصناعة الآلية ، وعيد عليها بناء الاحتمالية الدولية ، ضعفت الصناعة التركية ، واضطرت بان تسلم بالتبادل غير المعقول الذي فرضته الاحتمالية الدولية على كل البلدان - اي انها كانت تأخذ المواد الخام من البلدان المختلفة ، وتصنعها ثم تبيعها الى البلاد التي اخذت منها فتبيعها هناك . وليس هذا بالأمر الطبيعي . بل الطبيعي ان لا ينفق على المواد الخام اجور النقل ذهاباً واياباً ، وتنفقات اخرى ، تناف الى سعرها النهائي ، وانما للمعقول ان تصنع المواد الخام حيث تسهلك بوفيراً للنفاق وترخيصاً للشحن . وأمثلة ذلك كثيرة تراها في قطن مصر وصوف طرازون مثلاً

فلما دخلت اميركا واليابان ميدان الصناعة الدولية فقدت اوربا عملها ، وهو جمع المواد وصنعها وتجهيز العالم بها ، فأوربا بعد اليوم لن تكون « منتج » العالم ، واتراجع ان كل بلاد تكتفي بعد الآن ، بالصناعات انكبيرة - اي التي تصنع من مواد البلاد ويكون ما يستهلك منها كثيراً في البلاد نفسها . وقد تختص كل بلاد بعد ذلك بضرب او أكثر من الصناعة الدقيقة يكون فيها مجال التبادل الدولي . فموسرا تختص مثلاً بالساعات والمانيا بالاصابع

فالثورة التركية في نظر هؤلاء الشبان ليست الغاء السلطنة والخلافة وانشاء الجمهورية وتمجيد المرأة . والثورة التركية لا يمكن ان تكون قد تحققت الا اذا امكن تحديد الاستقلال التركي بمقتضى القوانين الاقتصادية والاجتماعية السائدة في هذا القرن . اذ لا يخفى ان الاستقلال الآن غيره في القرن التاسع عشر

وتركيا لا نستطيع ان ننشئ الصناعات الكبيرة وهي عنصر اساسي من عناصر الاستقلال

في القرن العشرين مجال الاجانب لانه بمثابة بيع للبلاد . ولكن الافراد والجماعات التركية لا تملك رؤوس اموال تمكثهم من ذلك ولا هم يستطيعون ان يجمعوا رؤوس اموال من التجارة الخارجية لان كل بلاد عميل في الغالب الى الاكتفاء بمنتجاتها الآن . ثم انهم لا يستطيعون ان يجمعوها من التجارة الداخلية كما هو معلوم . لذلك ترى بهان آصف وصحة يدعون بحجة ان ان تدخل الدولة الميدان ، ميدان الصناعات الكبيرة — اي الصناعات التي موادها انظام من البلاد واستهلاكها في البلاد نفسها واسم النطاق — كصناعات النسيج والاطعمة واللباقة وما اشبه . فاذا قلت لهم هذه اشتراكية او شيوعية قالوا لك ليست هذه ولا تلك وانما هي فلسفة اقتصادية لاسبيل لنا الا بها واذا نجحت فنتستطيع كل البلدان الشرقية التي كانت خاضعة للرأسمالية الدولية الاخذها والسير عليها . والحكومة التركية لم تأخذ حتى الآن الا بجانب من هذه الفلسفة ، فقد أنشأت في قيصريه مصفاً حكومياً للغزل ، ولعلها تحاول امتحان الفكرة من ناحيتها العملية أولاً قبل اقدام على تطبيقها بمخازيرها

— ٦ —

صحة الامة في المقام الأول بين مصادر ثروتها الطبيعية والروحية . لأن الامة التي تملك المناجم الغنية والسهول الخفية والانهار الجارية لا تستطيع ان تستغل هذه المراتق الا اذا صح ابناءؤها اجساماً وعقولاً . فاذا كانت الامة مصابة بأمراض متروكة في بلادها او اذا أهملت اسباب العناية بصحة الجسم استنزفت تلك من نشاط ابناءها وأضعفت من مضاعف عقولهم فلا هم يستطيعون استنباط الوسائل اللازمة لاستغلال ثروة بلادهم ولا هم يستطيعون الصبر على تطبيق الوسائل اذا تلقوها عن غيرهم من الامم

وقد ذهب بعض المؤرخين الى ان حضارة روما تمهقرت وبادت لأن جرائم البرداء ( الملاوية ) رثعت في دماء ابناءها زماناً طويلاً ولو أنها عرفت بسط قوامد الصحة العامة — وما كان ذلك ممكناً وقتها — لثرت المنقعات التي يتولد فيها اليعوض الناقل للبرداء ولنجت من الوهن والاضحلال

والتعليم هو وسيلة المجتمع لكشف المراهب وتدريب الملكات وتوجيهها . وقد أصبح في هذا العصر لا ندحة عنه للقرود او للامة لأن الصراع في ميدان الاعمال عنيف والامة كائنة ما كانت ثروتها الضخيمة وصحة ابناءها لا تستطيع ان تحقق ما ترمقه من آمال كبار الا اذا كان فرض التعليم في نظامها الاجتماعي واضحاً لا يشوبه لبهام يوافق حاجتها ، ووسائله منقذة وافية

\*\*\*

ولقد بهرنا ما رأينا في تركيا الجديدة من العناية بهاتين الناحيتين من حياة الشعب . هناية

لا أستطيع ان أصنفها بأكثر من فولي ان تفقات الحكومة المركزية عليهما تبلغ نحو ستة ملايين من الجنيهات وهو يكاد يكون ربع الميزانية أو يزيد

\*\*\*

وجهت حكومة تركيا الجديدة عناية خاصة الى شؤون الصحة العامة . فأنشأت لها وزارة خاصة أقامت عليها وزيرا طبييا ووكيلا طبييا . وقد زرتنا وزارة الصحة في اققره فاذا نحن في بناء جديد عظيم . جدرانها بيض وأبوابه بيض وسلاله بيض . لا تكاد تلمح أربابا لبقمة على كل هذا البياض الناصع . وزرنا المعامل فأعجب بها أطباؤنا ونحن نسلم بشهادة الاطباء . ودخلنا الغرف الخاصة بالطاية الصحية فرأينا فيها مئات اللوحات التي تفسر للعامة بالصور الملونة والكلام التليل ما يجب عليهم من الوسائل الصحية لمكافحة الأمراض المختلفة . كالملاويا والتراخوما والزهري والسبل وغيرها

وزرنا كذلك في الجزيرة الثانية من جزائر الامراء ، وقد فاتني اسمها الآن مستوصفاً للسبل قائما على ربوة تشرف على بحر مرمره من جهاتها الثلاث ، وتحيط بها غابة من اشجار الصنوبراء فرأيتنا جامعا لكل وسائل الراحة والعلاج ، الأ معامل البكتريولوجية قائما لا تني بالحاجة ولكن الحكومة التركية مع ضعف وسائلها المالية استطاعت ان تضيف الى المستوصف بناهين جديدين وقد خصص جانب من أحدهما للمعمل البكتريولوجي . ووقف البناء الآخر على طهي الطعام بأحدث الوسائل وأوقاها . والخدمة في هذا المستوصف من درجة واحدة لكل المرضى ، الاغنياء والفقراء منهم على السواء

والمستشفيات في أنحاء تركيا كثيرة ، في استانبول وارضروم وديار بكر وسيراس والعزيز وانقره وازمير - ومهما ما هو خاص بالامراض العقلية والحصية (استانبول) والامراض المعدية (حيدر باشا وازمير) والتوليد وامراض الاطفال (اققره وقونية وارضروم وادنه وقارس وملانيا وغيرها) وفتة مستشفى خاص بامراض الاطفال في استانبول ومعاهد لمعالجة الكلب في استانبول وسيراس وديار بكر

وقد اصدرت الحكومة قانونا سنة ١٩٢٢ تقزم به المقبلين على الزواج بالتقدم للكشف الطبي قبل ذلك . وقانونا آخر يجعل علاج الامراض الزهرية اجباريا ومن دون مقابل للجميع

\*\*\*

وقد تجمل نشاط وزارة الصحة التركية في تحميم الصحة العامة في مكافحة الملاويا . فقد جففت من المستنقعات في خلال سبع سنوات (١٩٢٥ - ١٩٣١) ما مساحته نحو ١٧٣ الف دم او نحو ٣٥ الف فدان في اققره ومرسين وقونية وبروسا وسمسون وغيرها . ومن الاقنية التي يتولا فيها البعوض الناقل للملاويا ما طوله نحو ٢٠٠ الف متر

وقد بلغت نفقات الحكومة على المنشآت الصحية العامة التابعة لوزارة الصحة من مستشفيات ومستوصفات نحو مائة الف جنيه سنة ١٩٣١ ونحو مليون جنيه في خلال سبع سنوات ( ١٩٢٥ - ١٩٣١ ) أما ما أنفقته على مكافحة الملاريا سنة ١٩٣٠ فبلغ نحو ١٤٠ الف جنيه وعلى الزهري ٣٥ الف جنيه وعلى التراخوما ١١ الف جنيه وبمجموع ما أنفقته على مكافحة هذه الأمراض الثلاثة في سبع سنوات نحو مليون جنيه . ويبلغ عدد المشتغلين بالصحة العامة التابعين لوزارة الصحة وللحكومات المحلية البلديات سنة ١٩٣٠ نحو ٢٠٠٠ طبيب و ١١٣ صيدلياً و ١٢١٤ مفتشاً صحياً و ٤٣١ قابلة و ٢٢١ ممرضة و ٥١٥ موظفاً آخر . والقائمون بأعمال هذه المنشآت كلها من اطباء وقابلات تراك تلقوا علومهم في الغالب في تركيا وبعضهم في اوربا أو اميركا . فالطبية فيمنجاً الاطباء درست في جامعة بوسطن . ومدير المعمل البكتيريولوجي في مستوصف السل درس في ألمانيا . وتبلغ ميزانية وزارة الصحة نحو اربعة ملايين جنيه والى جانب المنشآت الحكومية على اختلافها تجد جمعية الهلال الاحمر ولها في تركيا نحو ٥٠٠ فرع وجمعية رعاية الاطفال<sup>(١)</sup> ولها نحو ٤٠٠ فرع . وقد ذكر لنا الدكتور خليل بك عبد الحلق انه علم من وزارة الصحة ان القابلات يقمن بعمل التوليد مجاناً في المنازل على حساب البلديات

\*\*\*

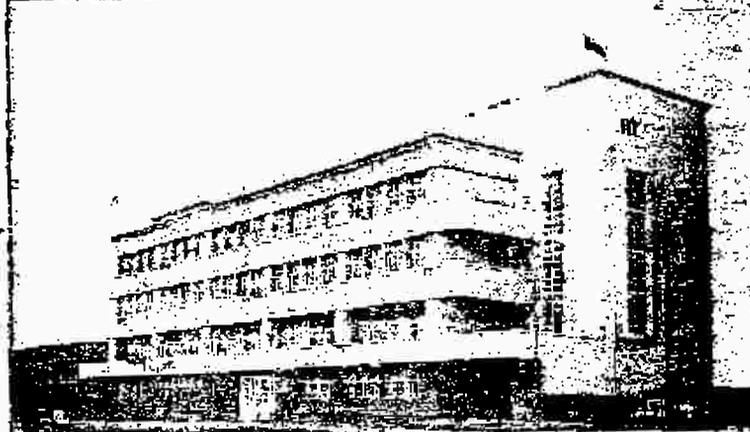
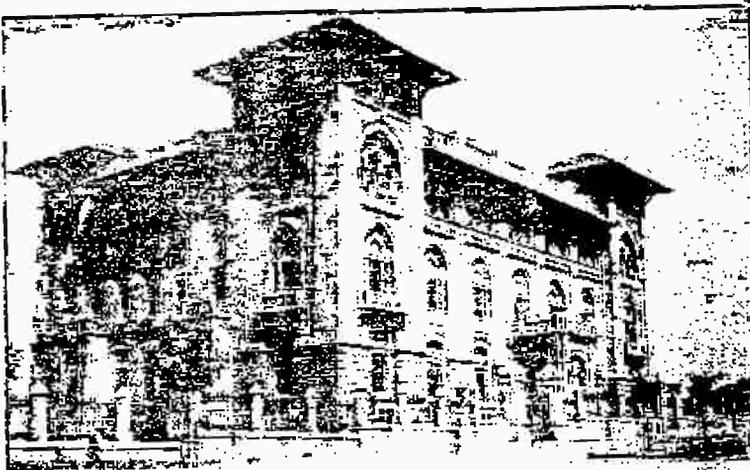
بلغ عدد معاهد التعميم في تركيا في السنة المدرسية التي انتهت في سيف ١٩٣١ نحو سبعة آلاف معهد - وعند التدقيق ٦٧٩٦ معهداً ، منها ٦٦٢٩ للتعليم الاري و ١٤٨ للتعليم الثانوي و ١٩ للتعليم العالي

اما عدد المعلمين والمعلمات في المدارس الاولية فبلغ ١١٤٤٣ معلماً و ٤٨٩٢ معلمة وفي المدارس الثانوية ١٩٢٧ معلماً و ٤٨٤ معلمة وفي المعاهد العالية ٥١٥ معلماً واما عدد الطلاب والطالبات في المدارس الاولية فبلغ نحو نصف مليون . ( النسبة بين البنات والبنين ٢:١ ) وفي المدارس الثانوية نحو ٢٣ ألفاً ( النسبة بين البنات والبنين نحو ١:٣ ) وفي التعليم العالي ٣٧٠٥ طلاب و ٢٢٤ طالبة

ولما كان يعني ان اعظم اهل اي مدي تقبل الفتيات التركيات على التعليم العالي سألت مدير الجامعة الجديد - في مأدبة العشاء التي اقامها لنا والى استانبول في ييرا بالاس - فقال لي ان شددهن في كلية العلوم كان سنة ١٩٣٠ - ١٩٣١ تسعين طالبة ، وفي كلية الطب ١١ طالبة وفي كلية الحقوق ٧٢ طالبة ، وفي كلية الآداب ١٥٥ طالبة وفي مدرسة الصيدلة ٧ طالبات وفي

(١) بلغ عدد الاطفال الذين تلقوا مساعدة من جمعية رعاية الاطفال في مروعها المختلفة في خلال السنوات اعشر الاخير ١٩٢٣ - ١٩٣٣ نحو ٦٠٠ الف طفل . فقد وزع الذين يحتاجون ٧٢٤٧٥ طفلاً ووزعت الاحذية عن ١٧٤١٤٩ طفلاً وبنات المنجاة الضحية لـ ١٤٩١٣٧ طفلاً واهديت القبعات لـ ٧٣٨٥ طفلاً واشترت ادوات المدارس لـ ١٤٣٠٣ طفل الخ





مبنى وزارة

(فوق) البنك الزراعي اوساً معهد عصمت لتعليم ايدات لاقتصاد العسلي  
تحت ا مقراً اركان الحرب

مدرسة طب الاسنان ٢٧ طالبة وفي مدرسة القبايلات ١٤٥ طالبة وفي المعهد الخاص باعداد  
موظفين للحكومة ٢ طالبات وفي معهد الفنون الجميلة ٧٣ طالبة وفي مدرسة المطيعن العليا  
٣٩ طالبة وفي مدرسة المعلمين المتوسطة ٨ طالبات . ثم علمت ان عدد من في مدرسة التجارة  
العليا بانقره ١٠٤ طالبات - وقد اطلعنا شوكت سورنيا بك مدير المدرسة على الرسائل التي  
اعدتها الطالبات في موضوعات اقتصادية فرأينا فيها من آثار البحث والتنظيم ما اعجبنا به اشد  
الاعجاب - وفي مدرسة الحقوق العليا في انقره ٢٢ طالبة وفي معهد الغازي ١٠٠ طالبة  
هذا من حيث التعليم العالي ، أما التعليم الصناعي فتجد اقبال الكفيات عليه كبيراً . في  
مدرسة الصناعات ٤٢٣ طالبة ازاء ١٢٨٦ طالباً



وانتشار التعليم على جلاله شأنه لا يفيد قليلاً ولا كثيراً اذا كانت روح التعليم لا تتفق  
وحاجة البلاد . فاهي روح التعليم في تركيا

الزرعة الوطنية - التاريخ في نظر الغازي مقدس . هو المحكمة العليا التي تقول في آثار  
الانسان واعماله الكلمة الفاصلة . وقد كانت المدارس الاجنبية في تركيا في ايام السلاطين تعلم  
التاريخ على هراها ولكن تركيا الكالية ، تبعث بفتشها الى هذه المدارس الآن ، فاذا وجد المفتش  
في المدرسة خريطة قديمة وقد رسمت فيها ازمير على انها يونانية ، والولايات الشرقية على انها  
ارمنية ، قتل المفتش ممتعضاً ان هذه المقاطعات لم تكن قط يونانية ولا ارمنية ولن تكون .  
ومن عودته يصدر الأمر باغلاق المدرسة ومحرمي ما هو من قبيل هذا في كتب التاريخ . فاذا  
وجد المفتش خطأ واحداً ضد الزرعة القومية التركية يجرح الزك في كرامتهم صدر الأمر  
باغلاق المدرسة التي تدرس ذلك الكتاب . وقد وضعت عبارة يجب على كل طالب ان يرددها  
كل صباح ، هي بمثابة العقيدة الوطنية التي تفرس فيه وترجتها : - « أنا تركي امين مجتهد .  
يقضي علي واجبي بمهاوبة من كان اضعف مني ، واحترام من هم اكبر مني ، ومحبة بلادي  
باخلاص . مطمحي ان ارقى نفسي وان اداوم السير على طريق التقدم . اتني اهب كيان  
لكيان تركيا »

ولكي تترد هذه الزرعة الوطنية ، وضع برنامج لتعليم التاريخ الدولي وتدرسي للمبادئ  
الاقتصادية والاجتماعية السائدة في مختلف البلدان . وفي تدرسي تاريخ الحركة الوطنية تذكر  
الحقيقة مجردة ، فهناك يقرأ الطالب اسباب انحطاط الدولة العثمانية واسباب نهوض تركيا  
الجديدة ، وانتصارها وما يطلب من ابناءها لتسير بها الى مطمحها الأعلى  
الزرعة العمالية - بدأت حركة التعليم الجديدة كما يبدأ كل شيء جديد في تركيا ، بحطة

وأمر من الغازي . فأتخذ الزلافة كلمة ( التعليم واجب ورضي ) شعاراً لهم في حث الشعب على طلب العلم ، وقد عني واضعها بأمج التعليم — بناء على رغبة الغازي — بأن يكون التعظيم ، مما يربي المنكآت ، لا مما يحشو العقل . فيؤخذ انضاب في جولات خلوية ، ويعطى كل منهم شيئاً يمترون به ، زهرة او حجراً غريباً او قطعة لحم او ورقة نبات . ويطلب منهم ان يبيحوا عن تاريخه وان يصوروه . ثم تختار أكثر الرسوم اتقاناً وتطلق على جدران المدرسة وتصح جوائز للشفوقين . وفي كل المدارس نجد مجموعة من الحجارة المختلفة ، وهياكل الحيوانات والطيور المصبرة ، والازهار المجففة ، حتى يكون التعليم مقروناً بالمشاهدة . وفي المدارس التي زرتها — دار المعلمين في ازمير ، ودار المعلمين في انقرة — شهدنا معامل الطبيعة والكيمياء مجهزة بأحدث الآلات حتى يكون تعليم هذين المعلمين مقروناً بالتجربة والامتحان . وفي مدرسة التجارة العليا عرفنا ان التعليم متجه الى الوجهة العملية العملية ، فيعطي الطالب موضوعاً عليه ان يحقق اموره بنفسه في البلاد . وليس امامه مرجع يرجع اليه او ينقل منه . فقد اطلعنا على رسالة لأحد الطلاب في نظام ادارة السكك الحديدية وعملها ، واخرى في موضوع التطن التركي زراعة وصناعة ونجارة . وهذه الزراعة تفسر لك كثرة المدارس الفنية والصناعية التابعة لوزارة المعارف او لوزارات الاخرى ، كمدارس الزراعة التابعة لوزارة الزراعة ومدارس الاشغال العامة ومدارس سكك الحديد ومدارس صناعة الحرير ومدارس مفتشي الصحة

يضاف ان ذلك اتجد في المعلمين رغبة في كشف مواهب التلميذ وتوجيهه في الوجهة التي تفضل . ولعل ذلك فائئ من امر اصله الغازي فخرم به جيل التلاميذ  
الزراعة العمانية — روت كاتبة انكليزية انها كانت مسافرة من قونية الى أدنه فلقبت مفتناً من مفتشي المعارف فدار بينهما حديث ، سألته في خلاله : ولكن ماهي عقيدتك فقال : اؤمن بالعلم والغازي ومستقبل بلادي وأثق بنفسي . فقالك دهشة ولكن ... ولكن ... الله ... فقال من يعلم شيئاً من الله . هالك العلم . وقوتنا الخير والشر . أما عن الباقي فلا نعلم شيئاً ما ولعل هذا المفتش كان يعرب عن ضمير جيله . الجليل الذي يقرب نظره في احوال العالم فلا يرى الفوز الا لصناعة القوية والاسلحة القوية القائمة على العلم . الجليل الذي شهد كيف استعمل الدين لأغراض سياسية . وما طائته تركيا من جراء ذلك من دول تدعي انها حامية الدين المسيحي . ألم يقل لهم الغازي في خطاب ألقاه : « علموا الحق وورثوا عليه بالعلم . علموا طلابكم الموضوعات التي تقدمهم في الحياة . علموهم النظام والترتيب والملاحظة عنونهم الفرق بين الخير والشر ، بين الخطأ والىواب . علموهم ان يعرفوا انفسهم وان يشقروا بانفسهم وان يمتدوا على انفسهم »

أهم يؤمنون بالعمل، ومن يؤمن بالعمل، لا يبعد متسماً من الوقت، في رأيهم، للصلاة والعصام  
فهم يبشرون بجدٍ للتقدم الملماني<sup>(١)</sup>. فاذا قلت لهم ان الذين حامي الفرد والمسيطر على مسائل  
الجنس والشهوة. قاتواك الدولة هي حامية الفرد، والمرأة هي المسيطرة على مسائل الجنس  
والشهوة. والمرأة تعامل بالاحترام الذي يليق بها. حتى في أيام الحريم كنا نحترم المرأة التي  
تحترم نفسها. وعندنا ان التعليم الأدبي، وغرس مبادئ الفضيلة، خير من مجرد الاعتقاد  
وعدم تطبيقه. واذا أثمرت الى كثرة حوادث الانتحار، وملكها بأحلال العقيدة، قاتواك  
ان لجنة من الاطباء العلماء تناولت البحث في هذا الموضوع ووجدت ان بواعث الانتحار  
سببها اضطراب الاحوال العامة التي تلت الحرب الكبرى في الغالب

وعندي ان هذا الاتجاه ناشىء عن تعارفهم في احترام القوة والصناعة اللتين لا بدت منها  
لامه فنية تحاول ان تدرك ما قلها من اسباب الرقي المادي. وانه اذا استتب لها ذلك ارتدت  
الى دخيلة تمسها وعندئذ ترى ان الايمان بالمعلم لا يبعث كل حاجات النفس  
يضاف الى ذلك ان القازي يعلق بالرياضة البدنية شأنًا كبيراً، من الوجهة الخلقية علاوة  
على الوجهة الصحية فهي تعلم الانصاف والتعاون في ألعاب الكرة، وربي في الكشافة خلق  
التجدة والنخوة. ولقدك راه بعزها ما يستطيع الى ذلك سبيلاً

### — ٧ —

عرف القاريء من التصور المتقدمة انه ليس في وضع الكاتب ان يخط سطرًا واحداً عن  
تركيا الجديدة من دون ان يشير الى القازي مصطفى كمال، مجدد مطالها، ومفتصب استقلالها  
بجد السيف، ومنظم حكومتها الجمهورية، ونافع روح الحياة في شعبها ونسائها، في نسائها  
ورجالها على النساء. انك تجد طابعة الشخصي، في كل مجمع وكل مدرسة وكل منجاء وكل  
مستشفى تؤمه. بل انك تجد في كل مرزعة حديثة ترى فيها فسائل الاشجار لتحريج النجد  
التاحل في قلب الاناضول. فانت لا تستطيع ان تتعلم من هذه الصورة العجيبة التي تمثل  
امام عينك ممتدة من استانبول الى انقرة، الى ما وراء انقرة، ومن صممون وطرازون الى  
يالوى وازمير ومرسين، من دون ان تتوق الى ان ترى معرفة بذلك الفنان المبدع الذي وسأها  
بالوانها وتفتح فيها من روحه، نسمة الحياة

(١) المرفق نحو المدارس الاجنبية في تركيا، صريح لا ليس فيه. فهم يقولون ان تركيا تؤمن بالعلم  
العلماني، كالاساس للارتقاء في هذا العصر. وان كل مدارسهم تجري على. وانهم كذلك يرحبون بالمدارس  
الاجنبية في انبلاذ، وانما يشترطون عليها ان تحترم. فاذا قلت ذلك فيها، والا يجب ان تفعل ايوانها.  
وقد كتب يونس نادى في جمهوريت فقال: « ان اصحاب المدارس الاجنبية حاولوا ان يملكوا احد مسكنين  
اما ان يعلموا الذين ان يرحلوا. ونحن نطلب اليهم ان يبتروا في انبلاذ، وان يخصصوا قرايين انبلاذ  
وتعاليدها، وان يخصصوا في تعليمهم. وانما توجه هذه الطلب خاصة الى كلية روبرت وكلية البنات الامبركية  
في استانبول»

ومها يكن المعير ، التي خبأته له الافكار ، فلا ريب عندي في انه أصبح من رجال التاريخ العظيم . وقد زاده ظهوراً بين قومه ان ليس بينهم من يدانيه في قواه العقلية او في مقدراته على تسيير سفينة الدولة في بحر السياسة العجاج . كل ممثل لتركيا في مؤتمر دولي ، يجب ان يمثل اسام الغازي قبل سفره . يعيد عليه القضية التي يدافع عنها فيناقشه الغازي فيها مناقشة مطلع طرف بواطن الامور ، قائم لدقائقها ومغازيها ، ويعرض لجميع وجوه المسألة كما يراها ، حتى لا يقاجأ المندوب في المؤتمر مفاجأة تأخذ عليه باب الكلام ، او توهم من موقفه القومي . كذلك فعل مع عصمت باشا لما ذهب الى لوزان . وكذلك فعل مع توفيق رشدي بك لما ندب الى جنيف . ولا يبعد ان يكون قد جرى على الخططة نفسها مع اسعد بك قبلها سافر الى لاهاي لندفع عن تركيا في قضية اللوتس المشهورة

\*\*\*

كان مساويء الحكم في عهد السلطان عبد الحميد اثر عظيم في نفسه منذ حادثته . فكان وهو صبي يافع يلهب خيرة على وطنه . ويظهر انه ورث الروح العسكرية عن اسلافه فنج في علومها ، وقوق في الناحية الرياضية منها ، واقدم من حادثته ليدلن كل فال في سبيل وطنه . وكان ذلك ام ما يحيش في صدره وهو فتى غض الاهداب فكان ينشر وهو يافع في المدرسة صحيفة يكتبها بخط يده ويشرح فيها ما يراه من مساويء الحكومة في ذلك العهد

ومع ان المقادير قد اوصلته الى اعلى المراتب بين قومه ، الا انه بعيد كل البعد عن المطامح الدنيوية . ولو خيل اليه ان مصلحة الدولة تقتضي بقاء السلطان على عرش آلي عثمان لما تأخر عن ذلك . بل انه في فترة من فترات الجهاد الوطني ، رجا السلطان رجاء ان يتقدم الصفوف ، ويقودها فتتكا السلطان ، فلم يبق بد من السير من دونه . فلما عرض الترك على الغازي ان يتقدم منسب للسلطان والخليفة معاً ابى ذلك كل الاباء . ولو فعل ذلك لاصبح المتقدم القومي مغامراً سياسياً ؛ لانهم مصلحة البلاد بقدر ما نهمه مصلحته الخامة

لذلك يفضل ان يعرف بأنه احد ابناء الجمهورية التركية — لا أكثر ولا أقل — وقد قال لمن حاول ان يقابل بينه وبين لبوليون والاسكندر ، اسمي «مصطفى كمال» فاذا شئت ان تكرمني ادعي مصطفى كمال . ولكنه يسمح لقومه بأن يلقبوه بالغازي!

\*\*\*

بعد عشر سنوات من الحكم ، ترى الغازي وحيداً وعلى وحدته مسحة من كآبة العزلة . فكأنه على قبة جبل ، رغم حجة الشعب له وتعلقه به . انك تجد صورته في كل مكان ، في البازرة التي سافرتنا عليها ، وفي النزل الذي اتقنا فيه ، وفي المعاهد التي زرتها على اختلافها . بل انك لا تكاد تطعم على صحيفة من الصحف اليومية — وأكثرها مصور — الا وتجد صورة للغازي





الغازي مصطفى كمال

امام الصفحة ٢٢٩

مقتطف نوفمبر ١٩٦٣

في موقف من المواقف. المدق تنباري في اهداه الدور اليه ، في ازميز قيل لنا هذا بيت الغازي اهدته اليه المدينة ، وفي بروسة بيت الغازي كذلك وفي يالوي بيت الغازي . بل هي تنباري كذلك في اقامة التماثيل له حتى انك لتري في اتقوه وحدها ثلاثة تماثيل له على الاقل في الميادين العمومية ولكن الرجل الحديدي ذا الوجه المحمد والصين الرمايتين الغازيتين تنفحان الشرر ، والجهة العالية بترجها شمر ذهبي ، ينكش قليلاً قليلاً بعدما سن كل ما يراه لازماً لتركيا من القرائن . وانباء وطنه يشرون بذلك ومحزون بشيء من الكتابة . انهم يعلمون ان مرض الكلبيتين اني عليه يده الثقيلة واقعده غير مرة . وهم يعلمون انه لم يدخر نفسه في طول حياته فبذلنا سخياً ، في اللهو وفي الجهاد . هو في اتقوه بين قومه يحيط به رفاقه في الجهاد ، وانباءه في التزعة والايامان . ولكن القوم في استانبول ، يلقون الی الشائعات آذانهم ، فاذا لم يستطيعوا ان يروه رأي العين ، تقول السننهم الاقاول ، حتى يبرز لهم الغازي من شرفة تطل على البوسنور فينشر عليهم عندئذ جناحي الطيب الذي تزيد افعاله كل كلمة يفره بها ويقول لهم : — لقد غلبنى ما تكبدتموه من المشقة في محبتكم الى هنا . لا تظنوا انه لا ندحة عن التطلع الى وجهي . لا افضل في نظري ان تسوا الى فهم افكاري ومشاركتي فيها . ان صونكم تبشركم ابي صحيح معاني . اما المحبة التي تربطني بكم فلن تضغف . وان قرني لقائمة على تلك المحبة ، وعلى محبتكم لي . ان هذه البلاد ، في ظل هذا النظام ، سوف تصبح اجدر الامم بالاحترام . واني لن اموت قبل ان تتحق كلاني !

\*\*\*

كان السلطان العثماني خليفة المسلمين . فكانت النولة العثمانية بين زعتين ، التزعة القومية التركية ، والتزعة العثمانية الاسلامية . وكانت التزعة العثمانية هي السائدة في الغالب . حفظت قصود السلاطين في الاستانة بحليط من ممثلي شعوب النولة . من اسبان ويونان وارمن وكرد وهرب وتار وسقالية . فما كانت حركة تركيا الفتاة والثورة التي غسوا بها البعثور العثماني من السلطان عبد الحميد جعلوا الدولة العثمانية بشعربها المختلفة ، المتنافرة في امزجتها ومطامعها ، ميدياً لحركتهم ، بدلاً من يوجهوا النظر الى الشطر التركي ، وفيه من التجانس بين السكان ، أصلاً ونفياً وميثاقه ، ما يحكمهم من تحقيق الإصلاح الذي ينددون . وعنى ذلك ترى ان التزعة القومية التي دعا اليها رجال تركيا الفتاة ، وراموا تطبيقها على الدولة العثمانية من البلقان الى ما وراء النهرين ، ومن القوقاس الى المحيط الهندي ، كانت باحسا على نشوء التزعات القومية بين الاكراد والعرب والارمن وغيرهم من الشعوب التي تتألف من مجموعها النولة العثمانية

بين الضباط الأتراك الذين حكموا فيما بينهم وبين قهرسهم ، ان النظام القديم نال لا يرحى له اصلاح كان ضابط ، فأر العيتين ، نفاذ البصر عني بو رؤساؤه فعبسوه في اماكن نائية عن صامدة البلاد فهو آناً ضابط في حفا ، واخرى مكافح في طرابلس الغرب ، وثالثة ملحق حربي بمفوضية تركيا في صوفيا . وذلك لانه كان حر الطبع ، لا يصبر على الخسف ، فكان ينتقد ما يراه جديراً بالانتقاد — وما اكثره في تلك الايام — بكلام لا يحتمل التأويل . حارب الانكليز في الورديل وواليبولي فعرفوا فيه ضابطاً ممتازاً شجاعاً لا يبي ، صوراً لا يجل ، يقضاً لا يؤخذ على غرة ، فباء من الورديل بتقدير اعدائه ، ورئيسه الجنرال فون سندرس باشا فما احتل الحلفاء استانبول <sup>(١)</sup> بقيادة قائد بريطاني ، واصبح السلطان بوقاً في يد المحتلين بذل ما يستطيعه لحل الاتراك على المقاومة ، ولما قط معطى كمال من التواء المشتغلين في السياحة وموارثهم اخذ يعد المعدات للذهاب ال الاناضول فدعي ال مجلس الوزراء وكان منعقداً لينظر في أمر احتلال اليونان لازمبر ، فمثل ما رأيه فقال «المقاومة» فقالوا « وكيف نفقوم هنا فقال « اذ انفرغتم جهدكم هنا الحقوا بي »

وفي ١٩ مايو سنة ١٩١٩ زل معطى كمال ال البر في صمصون برفقة رافت بك

\*\*\*

ليس هذا مكان التبسط في تنظيم الحركة الوطنية ، وما عاناه فيها مصطى كمال من ضروب المقاومة ، من الحلفاء ومن ولاة الاناضول ومن الحكومة في استانبول حتى ومن بعض اصقائهم الاقربين . وكيف كان يتحتم عليه ان ينظر ال تنظيم لجيش ليكون المرجح الأخير في السيطرة على البلاد ، وانداء الفروع ، وارسال لتعليمات ال رؤسائها . كان الرجل لا يكل من العمل . وكان عقله يتسع لكل كبيرة وصغيرة . قيل لي . وهل تظن ان كل هذه الاعمال التي تمت على يده وبإسعه هي من ابتكاره ، فقلت لا يستطيع احد ان يحكم على مصطى كمال الا اذا قرأ تلك الخطبة العنيفة (محو ٨٠٠ صفحة) التي القاها بنفسه من بضع سنوات في مجلس الامة . باسطاً فيها تاريخ الحركة الوطنية . فقد روى بنفسه ، وأيد روايته بالوثائق الرسمية ، انه كان يجلس ال آلة التلغراف يخاطب الرعاء ورجال الحكومة ، وييسط لهم بسطاً مفصلاً ، في كلام مدون محفوظ ، آرائه في الاتجاه الذي يجب ان تتجه اليه الحركة الوطنية . وفي هذه الرسائل التي كان يكتبها ، والديه في انظار تعليمها — وانما البديهة في الواقع تستمدتها من عقل قلبها على مختلف الوجوه

(١) عقدت هذه مردورس في ٣٠ اكتوبر ١٩١٨ وهي تحول الحلفاء حتى احتلال اي منطقة من مناطق البلاد الشمالية ولتنفيذ هذه الفاعلة فتحت ابواب الاسانة في وجوههم ولكن احتلال الحلفاء العسكري للاثانة لم يقع الا في مارس ١٩٢٠

وخزن مبادئها واصولها - تقع على زور كل الانقلابات التي تمت في تركيا على يديه وعموده رجاله الاصفياء

هناك في الاناضول الفأ حكرمة وطنية وتحدثى العالم ؟

تحدثى السلطان ورجال حكومته فلم يستطع هؤلاء ان ينالوه بسوء . ولكن اليونانيين ، الذين ورثوا من الخلفاء قطعة من الاناضول ، واحتلوا ازمير باسم الخلفاء ، سيطروا جيشهم على انقره ، العاصم الجديدة ، وهي قرية قديمة حقيرة كانت منازلها المنيعة تالين الخلفاء ، مقر الوزراء تركيا الجديدة ولاركان حربها . وسار الجيش اليوناني بكتسح امامه كل شيء ، حتى بلغ نهر سقاريا . هناك اعد له مصطفي كمال العدة ، بعدما عقد ميعرنا اتفاقاً اخلى له الوفا من الجنود الاتراك المرابطين على حدود سوريا ، وعمد الى الخيلة ، فاعلن ان هجرته سوف يبدأ في يوم معين ، ولكنه لم يبدأ . وفي ليلة ليلية ، اعد في تشان كايا مرقصاً فاخراً وامر الناس بالقصف والهور ، وانسل هو الى صنرف الجيش ، واسدر امره التاريخي : « امامكم البحر المتوسط » واطبق على الجيش اليوناني ، وعيون قوادم متجهة الى مرفص انقره ، فتراجع اولاً ثم اصبح لتراجع هزيمة لم تنته حتى دخل الغازي مدينة ازمير . وسار حتى اصبح على بضعة اسيال من استانبول ، فلجأ السلطان الى بارجة بريطانية

وفي ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٣ اعلنت الجمهورية التركية ، وانتخب مصطفي كمال - الغازي رئيس المجلس الوطني الكبير ، رئيساً لها

\*\*\*

كأن الظفر في حرب الاستقلال فثمة لا نهاية . عند ذلك انقلب الزعيم الحربي والقائد الوطني منظاراً سياسياً وادارياً واجتماعياً ، في الطبقة الاولى بين رجال العصر . اليس هو القائد ، فان القائد الحازم يجب ان يكون مشرعاً حازماً . ولا يصدق الحكم على القائد الحربي الاً وقد اثبت ان في وسعه تحويل رجاله من جيش قتال الى جيش سلام !

كان غرضه ان ينشئ من تركيا دولة تتمتع باستقلالها السياسي والاقتصادي - بحريتها التي ابتاعها بأعلى الاثمان - الحرية - ! وما كان مصطفي كمال من الذين يبهرون ، بمعنى تلك الكلمة الزانة ، فيفادون الى الورم والضلال . كان يهيم انك لا تستطيع ان تترك الحرية ، كرهة تتقاذفها تيارات السياسة الحزبية ، يخلتها رجال ، تفهم العبارات الممتنة ، ثم يتابعهم تلك التيارات في درودوها . وكان نظره صائباً اذ صرح في خطبة له في بدء الحركة الوطنية « ان المشروعات الكبيرة تقتضي زجياً »

بعد الظفر في الحرب بدت له عتمة العمل الذي امامه ، وما ينظري عليه من المهايي والمخاطر . ولكنه لم يعمل نفسه بفترة من السلام ، بعد النصر ، يستجم فيها القوى ، ويأخذ

الاحبة ، لمعالجة المشكلات التي نجح معالجتها . ألا يقول العلم الحديث ، بأن الحياة رزاع لا يتعمى ؟ ألم يثبت داروين وعلماء الحياة بأن القوي في الرزاع يفوز . وان الضعيف يهوى الى الخفيض ؟ لقد اثبت مصطفى كمال ، في ساحات التنظيم القومي ، وفي ميادين القتال ، انه ليس من الاوكاس . ابدع السلام يطلبه في ساعة الظفر الحربي ؟

كانت المشكلة الكبرى التي تواجهه ، التوفيق بين الحرية والنظام . وهو الاساس الذي تقوم عليه كل حكومة

لوشة النازي حينئذ ، لسلك الطريق السهل ، واعلن دكتاتورية حرية ، ولما التي حينئذ مقاومة ما ؟ ليس هو النازي ، طارد الاجانب من البلاد ؟ الا تنفق الدكتاتورية مع تقاليد الاراك الحرية ؟ ولكن الدكتاتورية الحرية ، كانت مناقضة لفلسفة السياسة ، القائمة على ركنين من «ارادة الامة» و«امتناع الجيش عن التدخل في شؤون الحكم» . ففضل ان ينشئ حزباً سياسياً ، وبواسطته ينسط سيطرته على مجلس الامة

وكان صريحاً في اعلان رأيه . قال ان الظفر الحربي لا يكفي لضمان المستقبل . والمستقبل لا يضمن الا بتنظيم الامة تنظيمياً ادارياً وسياسياً . واذن فلا بد من برنامج اصلاح قائم على الاسس العلمية . وحزب الشعب الذي أسسه ، ورثته يجمع بين الحزب الفاشستي من حيث تمثيله لرغبة الامة ، والحزب الشيوعي في روسيا ، من حيث سيطرته على شؤون الحكومة . وسلطانة قائم على تأييد هذا الحزب له . وهو لوشة لا يعلن نفسه دكتاتوراً مدى الحياة ، ولكنه يفضل في سبيل تقبيل الشعب ، ان يحدد انتخابه رئيساً للجمهورية ، في كل برلمان جديد ، مرة كل اربع سنوات

وكان خصوصه في البدء اشدها ، وحاووا ان يهاجموه من ناحية معاهدة الصلح ، لأن المناقشة في مؤتمر نوزان طالت ، ولم تفض الى نتيجة ، فقالوا ان عصمت مفاوض ضعيف ، مفترط في حقوق البلاد ، وانه لا بد ان يعود بمعاملة جديدة كعاهدة ميقر المقوتة . فلما يش كرون من حمل عصمت على الاتفاق ، عاد قاضياً الى لندن ، فكان ذلك ايداناً باقجار روح اليغض للاجانب في مجلس الامة في اقتره ، فاعتم النازي الفرصة ووقف في المجلس ، وعدت الى جنبه وقال : « ان تركيا تطلب السلام وانها مستعدة لتعكسلات المردة » مع كل الامم . ولكن تركيا مستعدة للحرب اذا اقتضت الحال ذلك ، لان الحياة من دون الاستقلال لا تطاق . وانها لا بد ان تفوز ما زالت معتمدة على قوتها الحقيقية ، الستمدة من ميناقها القومي ودمستورها الجديد الذين انبيا سيادة الفرد واعنت سيادة الامة

(١) بروي المستر شول وزير اميركا السابق في اقتره انه عند وصوله الى مقر معصيه . على لريال الحكومة رغب في زيارة ميادين الحرب مع اليونان نشوه عن عزمه قائلين « اننا نريد ان نجري عنى خطة صداقة مع اليونان ولا نريد ان تباهي العالم السلام بالصلح بالنصر الذي احرزناه عليهم »

وطاد عسمت الى لوزان ، فجاز بالماهدة التي ترضي تركيا  
ولولا الظفر الحربي ، لما استطاع مصطفى كمال ان يمضي في الانقلاب التركي الى نهايته .  
التي السلطنة واخلاقه في تركيا ، لانه اراد ان يرفع من شأن النزعة الوطنية الديمقراطية ،  
وقتل القانون السريسي المذني بمخافيره ، لانه اقرب الى احوال العصر ، وحرر المرأة لانها  
يجب ان تشترك مع الرجل في بناء الدولة وتهديب الاجيال المقبلة ، وغير لباس الرجل  
ليكون التغيير ماحقاً للفروق بين الأتراك والاوربيين ، واستبدل الحروف العربية بحروف  
لاتينية وجعل الكتابة بها من اليسار الى اليمين ، لان الكتابة العربية لاتصلح في رأيه لنشر مثل  
الحضارة العلمية . وقد كان في كل ذلك مقداماً لا يخشى . ولكن اقدامه كان اقدام رجل  
مهد الطريق ، واختار الفرصة الصالحة . ولما سالت اورياً كبيراً في استانبول عن ام ما يتصف  
به مصطفى كمال قال : « الحكمة العملية » ، لانه من السهل ان تعمد على الورق برامحاً طويلاً  
عريضاً للإصلاح ، ولكن السر كل السر في اخراجه الى حيز العمل في الوقت الصالح والفرصة  
المناسبة . فمصطفى كمال رجل لا يرتجل الإصلاح ارتجالاً  
وكنتك أصبحت تركيا ، ذات يوم ، وهي المقهورة في الحرب الكبرى ، فلذا هي أحسن  
حالاً من كل البلدان المقهورة ، بل من بعض البلدان التي كانت في جانب الحلفاء المنتصرين

\*\*\*

يجد بعضهم وجهاً في الشبه بين نهضة المانيا الحديثة بزامة هتلر ، ونهضة تركيا بزامة  
مصطفى كمال . ولكن الفرق بين النهضتين يتمدى الظواهر الى الامور . بدأت النهضة الهتلرية  
في الداخل فأجبت الروح الالمانية وهي متجهة الى الخارج ، الى تحقيق الحلم بالمانيا الكبرى  
التي تضم جميع الالمان في اوربا - في النمسا وتشكوسلوفاكيا وغيرها - . واما النهضة الكمالية  
فبدأت في الخارج ، اذ طردت الاجانب ، وعينت حدود البلاد ، ثم انجبت الى الداخل تحاول  
ايقاظ الشعب وبعث معنى جديد من معاني الرقي في نفسه . فالاولى تنجى من فتح روجي الى  
فتح مادي . والثانية تنجى الى الفتح الروحي ، بعد الظفر في الفتح المادي  
قد كان في استطاعة مصطفى كمال ، في ساعة الظفر ، ان يترن بنظره ، ان ما وراء تركيا ،  
فيمد حدودها ، وييسط نفوذها ، ولكنه اختار هذه الفرصة ليغمد السيف ، ويوقف الحرب  
ويخلع البدة العسكرية . انها والله لعظيمة من هذا الرجل الذي ولد عسكرياً ، وذاق حلوة  
الظفر العسكري . كان اسهل الامور عليه ، ان يمضي ، وهو التمل بجمرة الظفر ، فاحملاً ظرياً  
ولكنه فضل ان يستدير حياة القاتمين ، ليستقل حياة المصلحين المحفوفة بالاعقاب .  
وليس هذا بكثير على من يستطيع ان يلقي عليك عنواً فقرات كاملة من كتاب « وز » في  
« موجز التاريخ »

فؤاد صروف